دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي
(دراسة وصفية تحليليَة لصلاحية اللغة العربية لغة للعلم والتكنولوجيا)

للدكتور مفيق دوشق – جامعة اليرموك

١. مقدمة

لا شك في أن آلاف اللغات واللهجات تنتشر الآن في هذا العالم الفسيح، ولا يوجد في العالم مجموعة معينة مهما صغر حجمها أو كبر إلا ولها لغة خاصة تتفاهم بها، ويتخاطب أبناؤها بها، وتستعملها في مناحي الحياة دينية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية. والعلاقة بين اللغة ومتكلميها علاقة وثيقة، فلا يوجد شعب إلا ويعتزّ بلغته، لأنها عنصر رئيسي في بناء شخصيته وشخصية المجتمع أو الجماعة التي ينتمي إليها، إضافة إلى كون اللغة عامل تفاهم وتفاعل وتخاطب، فهي في آن واحد عامل توحيد لفئات الشعب، ولا يُوجد في العالم قومية لا تتخذ من اللغة أساساً توحد به بين جماعاتها ورعاياها.

واللغة العربية – مدار هذا البحث – لديها كل المؤهلات التي تجعلها لغة الجماعة، أو لغة مشتركة لغير جماعة في هذا العالم، وهي تتمتع بقوة توحيدية لا يوجد لها مثيل، فهي على الأغلب لغة شعوب تقطن أوطاناً متقاربة ومتجاورة، ولكل هذه الشعوب تاريخ واحد، وعادات تكاد تكون واحدة، وتقاليد دينية واجتماعية تعود في أغلبها إلى أصل واحد. وكل المتكلمين بهذه اللغة يعتزون بها، ويقدرونها ويولونها اهتماماً كبيراً في المدارس وغيرها من دور العلم، ولكن أعداء هذه اللغة أيضاً كثيرون، ولهم دوافع متعددة، وهم على مستويات شتى: فمنهم من يعلن عداوته على رؤوس الأشهاد، ومنهم من يحاول الهدم من الداخل بطريقة غير مباشرة، أو مباشرة أحياناً.

من هنا انطلقت الصيحات هنا وهناك بعدم صلاحية اللغة العربية لعصر العلم والتكنولوجيا، وضرورة إبدالها بلغات أجنبية، أو إحلال اللهجات المحلية محلها، إلى آخر هذه الصيحات. فلماذا لا تصلح اللغة العربية للتعليم العالي والبحث العلمي؟ ومن هم القائمون على دعم هذا الرأي؟

وما هي دوافعهم وأهدافهم؟

٢. اللغة العربية قاصرة وغير مناسبة للعصر الحديث:

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نربط بين حركتين رئيستين تبنّتا عملية التشهير باللغة العربية الفصحى، وحملتا راية محاربتها، والادّعاء بعدم صلاحيتها. هاتان الحركتان هما: حركة الدعوة إلى العامية، وحركة الدعوة إلى استخدام لغة أجنبية في الجامعات والمعاهد العليا. ولا يفوتنا أن نشير بهذا الصدد إلى أنه على الرغم من اختلاف العصور التي انطلقت فيها هاتان الحركتان، وعلى الرغم من اختلاف الوسيلة، فالهدف واحد، وهو القضاء على هذه اللغة.

٢. ١ الدعوة إلى العاميّة:

إن الاستفاضة والإسهاب في هذا الموضوع ليس من أهداف هذا البحث، ولكن وجدنا أن من المفيد التعريج على هذه القضية، لارتباطها الوثيق بالحركة الثانية، وهي الدعوة إلى استعمال اللغات الأجنبية، فالأصوات التي انطلقت منذ أكثر من مائة عام لا تنادي بعدم اعتبار اللغة العربية لغة للدراسات العليا والبحث العلمي فقط، بل تنادي بهدم تلك اللغة وتقويضها من جذورها حتى لا تعود أداة توحيد وتضامن، فلا تقل خطورة من يدعو إلى نبذ الفصحى واستخدام لهجات محلية بدلاً منها عن ذلك الذي يدعو إلى عدم استعمال اللغة العربية في مجالات العلم والتكنولوجيا.

وجهود الاستشراق والمستشرقين ومن تبعهم من المضلّلين من أبناء الأمة كثيرة ومتعددة، ولكن لضيق المقام سأكتفي بإيراد مثالين اثنين فقط.

يقول ويلكوكس، أحد مشاهير حركة الدعوة إلى العامية،: "كنت أجد بين الطلبة – طلبة كلية الهندسة في القاهرة – من يعدّون حقّاً من الأذكياء، ولكنهم كانوا يسيرون في دروسهم ببلادة، لأنهم كانوا يقرأونها باللغة الفصحى المصطنعة، وليس باللغة المصرية الحية". (شاهين ص٢٧٩).

والردّ على هذا الادَعاء بسيط، فإضافة إلى كون الرجل حاقداً على الفصحى، فقد دلّل على جهل وعدم معرفة بعلوم اللغة سواء أكان منها التاريخي أم الوصفيّ، فمن بديهيات علم اللغة أنّ اللهجة المحلية هي انحراف عن اللغة الأمّ، وهي اللغة العربية في هذه الحالة، فهل يعقل أن تكون اللهجة والتي تصطبغ بالوظيفة الاجتماعية في أغلبها، أكثر قدرة من اللغة الأصل؟

ويورد الدكتور شاهين قولاً آخر على لسان هذا المستشرق، فهو يردّد "أن الذي عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى". والردّ على مثل هذا الادّعاء لا يحتاج إلى تدخل علم اللغة هذه المرة، ولكن يأتي على شكل استفسار بسيط، ماذا كانت لغة المخترعين في بريطانيا وفرنسا وأميركا وروسيا؟ أكانت لهجات محلية؟ هل كتب الإنجليز الذين ينتمي إليهم هذا المستشرق بلهجة الهوكني أم بلهجة بيرمنجهام والمدلاند؟ لقد كتبوا جميعاً باللغة الإنجليزية الفصحى، أو ما يسمّى بـ"ستاندر إنجليش" Standard English، ولم يكن يقبل منهم أن يكتبوا بغير ذلك.

٢. ٢ الدعوة إلى استعمال اللغات الأجنبية: لقد تضافرت جهود المستعمرين والمستشرقين والمستغربين (من أبناء الأمة العربية) في هذا المجال. فقد عمل الاستعمار جاهداً منذ وصوله إلى البلاد العربية، سواء الاستعمار البريطاني أم الفرنسي أم الإيطالي، على طمس اللغة العربية وإحلال لغة المستعمر المحتل مكانها لتكون اللغة الرسمية للبلاد، وخاصة في التعليم.

وقد دعم المستشرقون جهود المستعمرين هذه سواء بطريقة مباشرة كما بيّنا في الفقرات السابقة، أو بطريقة غير مباشرة كتدريبهم لنفر من المثقفين العرب ليكونوا أداة للدعوة إلى نشر اللغة الأجنبية باعتبارها لغة التقدم والحضارة، وطمس اللغة العربية باعتبارها لغة رجعية تقليدية في طريقها إلى الموت.

وأجد عليّ لزاماً أن أورد للقارئ الكريم فقرة واحدة فقط من مقال نشر، وللأسف، في مجلة علمية تصدرها اليونسكو، عدد مايو – يوليو ١٩٧٤ بقلم انطوان مطر، يقول فيه: "إنّ اللغة العربية الفصحى لا يمكن أن تستعمل اليوم في نقل الفكر الحديث لثلاثة أسباب ظاهرة:

١- قد احتفظت اللغة العربية لمدة قرون بطابع ديني قويّ جداً، وهي عند المسلمين لغة الوحي، وهي كذلك لغة الوحي عند الأتراك والباكستانيّين وآخرين من الذين لا يستطيعون فهمها، وهؤلاء لهم لغة قومية علمانية في حين أن العرب ليست لهم لغة من هذا النوع.

٢- اللغة العربية وسيلة معبّرة عن حضارة قديمة قوية التأثير ظلت مرتبطة بتراثها القديم كأنها لن تكون أكثر من وسيلة للتعبير عن التاريخ.

٣- تجاوز التطور الاجتماعي والاقتصادي العالم العربي من ناحية، كما

تجاوزه التطور التقنيّ من ناحية أخرى، لأنه ظل منفصلاً عن حركة التقدم العلميّ المسرعة المعاصرة لأسباب سياسية في جوهرها!!

وهنا نودّ أن نقول بأن الباحث المدقق أو اللغويّ المنصف لا يستطيع أن يمرّ على مثل هذا القول مرّ الكرام. ففي مجال مناقشتنا للسبب الأول الذي أورده الكاتب نقول: إن علم اللغة الحديث لم يورد في تصنيفاته لأنواع اللغة أو مستوياتها شيئاً يدعى باللغة العلمانية، ولكن ما توصل إليه الدرس اللغويّ الحديث هو أنّ لكل لغة لهجات جغرافية واجتماعية، ولكل لغة نوعيات registers، ولكلّ نوعية خصائص معينة حسب الموضوع أو الوظيفة اللغوية، فهناك النوعية الدينية والقانونية، وهناك النوعية العلميّة Scientific register، وليست العلمانية. ولنتمعّن معاً الفقرة التالية:

استخراج المسافة بين بلدين معلومي الطول والعرض

إذا أردنا أن نعرف أجزاء المسافة بين بلدين معلومي الطول والعرض، ضربنا جيب تمام أكثرهما عرضاً في جيب ما بين الطولين فيجتمع جيب القوس الأولى، ونقسم جيب أكثر العرضين على جيب تمام القوس الأولى، فيخرج جيب القوس الثانية، ثم نأخذ فضل ما بين هذه القوس الثانية وبين أقل العرضين، ونضرب جيب تمام الفضل في جيب تمام القوس الأولى فيخرج جيب تمام المسافة، تقوسها وتلغيها من ٩٠ فيبقى المطلوب.

وليكن لبرهانه: أ ب المسافة بين بلدي أ، ب، وج د ما بين فلكي نصفي نهاريهما.... (إلى آخر البرهان).

وبذلك نعلم المسافة بين البلدين بالأجزاء الدورية، دون الاصطلاح بالشبر والذراع. (القانون المسعوديّ. ص ٥١٦-٥١٧).

فهذا الكلام قد كتب قبل عدة قرون، ولكن بأسلوب علميّ واضح وليس دينياً كما يدّعي الكاتب. وخلاصة القول إنّ اللغة العربية لم تحتفظ بطابع دينيّ قويّ هو السبب في ضعف اللغة العربية وموتها، بل على العكس، فإن الدين الإسلاميّ متمثلاً في القرآن الكريم هو الذي حافظ على هذه اللغة من الاندثار والموت، وأبقاها حيّة متطورة حتى الآن. ويبدو أنّه قد فات الكاتب أنّ اللغة العربية، عبر العصور، قد استوعبت وعكست بكل صدق ودقة كل ما طرأ على مجتمعها من تغيرات وتطورات سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصاديّ أو العلميّ، أو أنه قد تجاهل ذلك. فقد كتب كل ما يتعلق بالمجتمع الإسلاميّ والعربيّ منذ قرون عدة بهذه اللغة. وهنا نتساءل قائلين: ماذا كانت

لغة مصمّمي الفن العربي الإسلامي وهندسته المعمارية المتمثلة في قبة الصخرة والأزهر وقصور الحمراء وقرطبة؟ هل كانت اللغة الإنجليزية أم الروسية؟ هل كتبت مخططات هذه الصروح الشامخة حتى الآن بلغة التسابيح والأدعية، أم بلغة اللوغاريتمات وعلم المثلثات والهندسة المعمارية؟

وسؤال آخر هو: لماذا استطاعت اللغة العربية استيعاب ما كتب بلغات أكبر الحضارات وأكثرها تقدماً في القرون الهجرية الأولى كالهندية والإغريقية، وفي مجالات العلم والطب والهندسة والصيدلة والرياضيات وغيرها؟ ألم تكن تتسم بطابع دينيّ قويّ في تلك الأيام؟ ثم إذا استطاعت عمل ذلك قبل قرون، ألا تستطيع ذلك اليوم؟

وجواب هذا السؤال الأخير يأتي من تاريخنا المعاصر، فقد استطاع العلماء العرب، وفي عدة مناسبات، تأليف كتب باللغة العربية في العلوم المختلفة. فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب الدكتور الجرّاح مرشد خاطر (جامعة دمشق) سفراً في علم الجراحة في ستة مجلدات، والدكتور أحمد حمدي الخيّاط كتاباً في علم الجراثيم، والدكتور حسني سبح في الأمراض الباطنية، وغيرهم كثيرون[1].

وفي معرض ردّنا على قول الكاتب بأنّ اللغة العربية وسيلة للتعبير عن التاريخ فقط نقول: إنّ الكاتب قد فاتته حقيقة علمية لغويّة، وهي أنّ اللغة، أيّة لغة، هي وعاء للفكر والحضارة والثقافة، وأن التاريخ بمعناه الضيّق أو الواسع هو جزء من تلك الحضارة، أو الثقافة، ولكنّه تجاهل أنّ الإدريسيّ قد كتب في الجغرافيا والفلك، وأنّ ابن الهيثم قد كتب في الرياضيات والبصريات، وابن سينا كتب في الطبّ، وغيرهم وغيرهم كثيرون، وكتبهم العلمية كثيرة، ومعروفة بأسلوبها العلميّ المتميّز والدقيق.

أما ما أورده الكاتب كسبب ثالث لعدم صلاحية العربية للفكر الحديث، فالكاتب يردّ على نفسه فهو يقول: لقد تجاوز التطور الاقتصادي والاجتماعي والتقني العالم العربي لأنه ظل منفصلاً عن حركة التطور العلميّ **لأسباب سياسية في جوهرها**. وهنا بيت القصيد.

إذن أسباب التأخر وعدم مجاراة التقدم العلميّ هي أسباب سياسية وليست

---

(١) لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر مقال الدكتورة عائشة عبدالرحمن في (اللسان العربي) المجلد الثالث عشر ١٩٧٦.

أسباباً لغوية. وبما أنّ اللغة وعاء الفكر والحضارة والتقنية والعلم، فإن هذا الإناء سيمتلئ بما يصبّه أهل هذه اللغة من حضارة وعلم وتقنية. فالقصور إذن هو في أهل هذه اللغة، لا في اللغة نفسها.

٢. ٣ وكلمة أخيرة أودّ إضافتها في مجال الردّ على عدم صلاحية اللغة العربية للعلم والتكنولوجيا، وضرورة استعمال لغة أجنبية في التعليم الجامعيّ: قد لا يستغرب المهتمّ بشؤون اللغة العربية الفصحى وقضايا العصر أن يسمع دعوات مشابهة لما سبق ذكره، من قبل المستعمرين أو المستشرقين او أتباعهم من المستغربين أو المتفرنجين، ولكن الغريب **والمؤلم** أن نسمع تلك الدعوات تنطلق من على منابر معاهدنا وجامعاتنا، التي نعوّل عليها في تقدمنا وحضارتنا. فقد أورد الدكتور حسين نصّار أن الجامعات المصرية أعلنت أن العربية تصلح لبعض أقسام الصيدلة، وللمواد الطبيّة ذات التطبيق العلمي العام كالطبّ الشرعيّ والصحة العامة، وصرّحت بأن العربية لا تصلح الآن للعلوم الحديثة من طبّ وهندسة ورياضيات وغيرها.

وأترك الردّ على مثل هذا الادّعاء للدكتور عبدالملك أبو عوف الذي أورد التسجيل التالي: فقد اضطرّ عندما انتدب للتدريس في جامعة دمشق أن درّس الكيمياء العضوية باللغة العربية، فاستطاع أن يفعل ذلك بعد أسابيع، ثم قارن بين عمله في القاهرة وفي دمشق بقوله: "وما أحبّ أن أركّز عليه هو حسن النتائج التي أحرزها الطلاب بالنسبة لنتائج طلاب كلية الهندسة بالقاهرة، وضخامة التحصيل، وحسن الاستيعاب الذي توصلوا إليه، لأن الطالب هناك كان يفهم دقائق الموضوع، ممّا كان يتيح له فرصة استيعاب قدر أكبر من معلومات المادة المعطاة، فتفهّم الطالب للغة المحاضرة والشرح، كان يعفيه من بذل مجهود مضاعف ينصرف نصفه لفهم اللغة والتعرف على المفردات الصعبة في اللغة الأجنبية التي يدرس بها". (د. نصّار...).

٣. علم اللغة وقضية اللغات القومية:

في تناولنا لهذه المسألة من وجهة النظر اللغوية المحضة، نود أن نأخذ بعين الاعتبار وجهات نظر علم اللغة العام وعلم اللغة التاريخي والمقارن، وعلم اللغة النفسي والاجتماعي، وعلم اللغة الوصفيّ، وخاصة ما يتعلق بالأسلوبية والتفاعل السياقيّ.

٣. ١علم اللغة العام:

تطرقنا في سياق مناقشتنا لما جاء في مقال أنطوان مطر إلى بعض الآراء اللغوية المدعمة لمبدأ أهمية اللغة القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي، ونودّ في هذا المجال أن نضيف أن دراسات الباحثين في علم اللغة العامّ قد أثبتت خطأ ما كان شائعاً من قبل بوجود لغة أفضل من لغة، أو لهجة أفضل من لهجة، لذلك فإن استعمال مصطلحات مثل لغة بدائية primitive lang أو لغة مقدسة Divine lag هي مغالطات لا تعتمد على أسس صحيحة، فلا يوجد لغة أو لهجة في العالم لا تفي باحتياجات متكلميها الاتصالية أوغير الاتصالية. ولكن تقتضي الموضوعية العلمية أن نشير إلى ما يلي: بما أن أية لغة أو لهجة صالحة للتعبير عن احتياجات متكلميها والقيام بوظائفها الاتصالية وغير الاتصالية على الوجه الأكمل، فمما لا شك فيه أن تلك اللغة أو اللهجة ستواجه مشكلة إذا ما تعرضت المجموعة التي تتكلمها إلى أي تغيير مفاجئ متسارع في معطياتها الحضارية (الاجتماعية منها والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وغيرها). وفي رأينا أن ذلك صحيح ليس بالنسبة للغة العربية فحسب، بل بالنسبة لجميع اللغات في العالم سواء تلك المستعملة في المجتمعات المتقدمة أو غير المتقدمة.

من هنا وعبر التاريخ جاء ما يعرف في علوم اللغة بعملية الاقتباس اللغوي Borrowing، فاللغة الإنجليزية، والتي يعتبرها الكثيرون لغة العلم والتكنولوجيا اقتبست الكثير من مختلف لغات العالم ومنها اللغة العربية، فمعظم مصطلحات الطب والصيدلة على سبيل المثال مقتبسة من اللغة اللاتينية، ومعظم المصطلحات العلمية الأخرى مقتبسة من اللاتينية واليونانية والفرنسية والألمانية وغيرها. فلا ضرر والحالة هذه من أن تقتبس العربية من اللغات الأخرى، نظراً لأن هذه اللغة يجب أن تستجيب لاحتياجات مجتمعاتها المعاصرة. والمشكلة التي تواجه العربية في هذا المجال تقسم قسمين: مشكلة نوعية qualitative ومشكلة كمية quantitative.

أما المشكلة النوعية فنقصد بها القصور المعجمي للغة، وذلك لأنه لا يوجد في اللغة العربية لفظة مقابلة لكل مصطلح علمي تأتي به حضارات العالم المختلفة في حقول الطبّ والعلم والتكنولوجيا وغيرها. وهذا أمر طبيعي وواقعي في آن معاً. فالاختراعات والتكنولوجيا في تلك الحضارات تأتي في معظمها نتيجة لاحتياجات الناس عامة والمخترعين خاصة في تلك المجتمعات وليس لاحتياجات الوطن العربيّ على وجه التحديد، وإن كان كثير من تلك الاختراعات والتقنيات لها صبغة عالمية كالأدوية والآلات مثلاً.

وأما المشكلة الكمية، فنعني بها عدم القدرة على ملاحقة كل ما تنتجه حضارات العالم من مصطلحات ومجاراته. وهذه طبعاً ليست مشكلة اللغة بقدر ما هي مشكلة المجامع اللغوية، والقائمين على التعريب والترجمة.

٣. ٢ علم اللغة التاريخي المقارن

من القواعد البدهية المسلّم بها في علم اللغة العام أن اللغة كالكائن الحيّ، تولد وتنمو، وتزدهر، ويصيبها أحياناً المرض والفتور وتضمحل أحياناً وتموت. واللغة العربية كأية لغة إنسانية أخرى، ولدت ونمت وازدهرت، ولا شك في أنها ضعفت في فترة من الفترات، وخاصة تلك التي خضعت فيها شعوبها للمحتل الأجنبيّ، كالأتراك والإنجليز وغيرهم، ولكن هذه اللغة لم تمت، ولن تموت أبداً، وذلك لما يأتي:

أولاً: لأنها لغة القرآن الكريم، وهذا الكتاب محفوظ من التلف والضياع والموت، وبذلك فإنّ لغة هذا الكتاب المقدس محفوظة إلى يوم يبعثون.

ثانياً: إن هذه اللغة هي اللغة الرسمية الآن لما يزيد على عشرين دولة، وإن تعدّدت لهجاتها في اللغة اليومية لأكثر من مائة وعشرين مليون من البشر.

ثالثاً: وجود إقبال متزايد في الشرق والغرب الآن لتعلّم اللغة العربية كلغة أجنبية بغض النظر عن الدوافع سواء أكانت لأغراض سياسية أو اقتصادية أو ثقافية.

وتاريخياً نقول: إن اللغة التي أثبتت جدارتها كلغة للعلم والطبّ والاختراع في فترة من الفترات لقادرة على إثبات تلك الجدارة مرات ومرات إذا أخلص العاملون عليها نياتهم وكثفوا جهودهم.

ومن وجهة النظر اللغوية المقارنة نقول إن اللغة العربية، واللغة العبرية هما من أصل لغويّ واحد، وتنتسبان معاً إلى اللغة السامية، وهما تتشابهان في كثير من الأوجه اللغوية سواء على المستوى الصوتيّ أو الصرفيّ أو التركيبيّ، إضافة إلى الكثير من السمات الأسلوبية المتشابهة، وبما أن اللغة العبرية هي لغة العلم والتكنولوجيا في فلسطين المحتلة فلم لا تصلح اللغة العربية لكي تكون لغة العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي؟

والجواب على ذلك بسيط. فمعظم العلماء اليهود، سواء المقيمون منهم في جامعات فلسطين المحتلة أم الزائرون، يطلب منهم رسميّاً أن يحاضروا ويكتبوا باللغة العبرية، وأن يترجموا كل ما كتبوه في مجال تخصصهم إلى اللغة العبرية إن كان نشر بغير هذه اللغة. فاللغة العبرية لا يتكلمها الآن أكثر من ٦ ملايين نسمة، نصفهم فقط في فلسطين المحتلة، ومع ذلك فلغتهم تنال الحظ الأوفر من العناية والتطوير لأن علماءهم مخلصون لتلك اللغة رغم معرفتهم في قرارة أنفسهم أن النشر أو التدريس باللغة الإنجليزية وخاصة للقادمين من أمريكا، وباللغة الروسية للقادمين من الاتحاد السوفياتي قد يكون أجدى وأنفع وأوسع انتشاراً.

٣. ٣ علم اللغة العقليّ والنّفْسيّ

Psycho – Mentalistic Linguistics

لقد اختلف العلماء فيما بينهم فيما يتعلق بتحديد العلاقة بين الفكر واللغة: فمن قائل بصدارة الفكر على اللغة، ومن قائل بتزامن الفكر واللغة، ولكن الرأي الأقوى والذي أثبتته التجارب في ميدان علم اللغة النفسيّ هو أن الفكر سابق على اللغة، ودليل أصحاب هذا الرأي على صحة مذهبهم هو قدرة الإنسان على التعبير عمّا في نفسه بلغات عديدة إذا أتقنها، وقد أدّى ذلك إلى اعتبار اللغة وظيفة من وظائف الفكر.

والذي يعنينا في هذا المجال، سواء أكان الفكر سابقاً على اللغة، أم متزامناً معها هو إجماع الباحثين على الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة، وضرورة إتقان لغة ما للتعبير عن فكرة أو للتفكير في المشاكل التي تعترض قوماً ما. فالناطقون بالعربية مثلاً، يفكرون بالعربية أو بلغة أخرى يتقنونها كإتقانهم للغة العربية أو أكثر، فنحن نفكر أولاً، ثم نكسو فكرنا ثوب الكلمات، فالفكر لا يوجد بمعزل عن اللغة أو الكلمات التي تعبّر عنه. فالفكر موجود في اللغة، واللغة أو الكلام هو الوجود الخارجيّ للفكر أو المعنى، ودقته تعتمد على قدرة الفرْد على اختيار الكلمات المناسبة. وهذه القدرة تكون في ذروتها عندما يلجأ الفرد إلى التعبير عن أفكاره باستخدام لغته القومية، لغته الأمّ، والتي نمت معه منذ الطفولة، واختمرت كلماتها وتعابيرها عنده، فأصبحت لديه القدرة على الاختيار الأصوب والأدقّ، لأنها تتيح له استخدام كثير من البدائل التي تمكنه من إيصال ما يريد من معنى بيسر وثقة. فلماذا إذن نحرم أبناءنا في التعليم العالي من هذه الفرصة الذهبية، ومن الفوائد الجمّة التي يمكن أن يجنوها باستخدام لغتهم القوميّة؟

وهل يمكن في يوم من الأيام أن يتقن كلّ أبنائنا لغة أجنبية أكثر من إتقانهم للغة العربية أو حتى بقدر إتقانهم لها؟

لقد أثبتت خبرتنا، وخبرة كثيرة من زملائنا في مجال تعليم الطلبة اللغة الإنجليزية مثلاً كمتطلب جامعيّ لمساعدتهم على تلقّي العلوم الأخرى باللغة الإنجليزية أن هؤلاء الطلبة لاقوا، وما زالوا يلاقون مصاعب ومشاكل شتّى:

فمن وجهة النظر النفسية البحتة، لوحظ أن وجود فجوة كبيرة بين ما يكتسبه الطالب من تعليم عام في المدارس الثانوية والابتدائية، وبين ما هو مطلوب منه في التعليم الجامعيّ له عدة آثار سلبية نجمل منها:

أولاً: التخوف من الدراسة الجامعية خاصة عندما يدرك الطالب أن معظم هذه الدراسة ستكون باللغة الأجنبية، والتي عانى الطالب الكثير في سبيل النجاح فيها في المراحل السابقة.

ثانياً: إن إعطاء الأهمية الكبرى للّغة الأجنبية في التعليم الجامعيّ يزعزع ثقة الطالب بلغته القومية، ويجعله يشعر بالنقص عندما يجد أنه لا يستطيع التعبير عن نفسه وأفكاره بتلك اللغة الأجنبية المفروضة عليه، وهذا غالباً ما يكون مصدراً للاضطراب والإحساس بعدم الطمأنينة.

ثالثاً: فرض اللغة الأجنبية في الجامعات يؤدي بالتالي إلى أن تفرض على الطالب مواجهة مشكلتين تعليميتين على الأقل: مشكلة تحصيل المادة العلمية ووعيها، ومشكلة فهم اللغة التي يتلقى بها هذه المادة. وهذا يفرض عليه بذل جهد أكبر وإضاعة وقت أكثر مما لو كان التدريس بلغته القومية.

رابعاً: إضعاف الصلة بين الطالب والمدرّس وذلك لأن الطالب يحاول أن يتحاشى التكلم مع المدرس أو مناقشته، وخاصة إذا كان أجنبياً خوفاً من الحرج والخجل لعدم مقدرته على التعبير عن نفسه.

٣. ٤ علم اللغة التطبيقيّ

لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أننا لسنا ضدّ تعليم اللغات الأجنبية وتعلّمها

سواء على المستوى الأكاديميّ التخصصي أو على المستوى الثقافي العام، فمعرفة لغة أجنبية واحدة على الأقل أصبحت الآن ضرورة من ضرورات التفاهم والتفاعل والتعايش مع الآخرين حتى بالنسبة إلى هؤلاء الناس الذين تعتبر لغاتهم من اللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما، ولكن خبرة العاملين في حقل علم اللغة التطبيقي وبحوثهم، وخبرتنا في تعليم طلّابنا للغات الأجنبية أثبتت وجود ضعف شديد في مستوى تحصيل هؤلاء الطلاب في اللغة الأجنبية ممّا يجعل الاعتماد عليها كلغة للتدريس في الجامعات والمعاهد العليا محفوفاً بالمخاطر، ومضيعة للجهد والوقت والمال.

لقد أثبتت البحوث في مجالي التحليل اللغويّ التقابليّ Contrastive analysis وتحليل الأخطاء اللغوية Error analysis أنّ طلابنا يواجهون مشكلات جمّة في تعلمهم للّغة الأجنبية وتعاملهم بها، وعلى جميع المستويات، وفي جميع المهارات. ونودّ أن نناقش هنا الصعوبات والمشاكل التي تواجه الطالب العربيّ في مجالات القراءة والكتابة والتعبير الشفوي.

أولاً: مشكلات القراءة:

في هذا المجال لاحظنا أن الطالب يواجه مشكلات كثيرة، وعلى مستويات مختلفة تتفاوت في الصعوبات، ومن هذه المستويات:

١- مشكلات التعامل مع اللغة على مستوى الحروف.
٢- مشكلات التعامل مع اللغة على مستوى الكلمات.
٣- مشكلات التعامل مع اللغة على مستوى التراكيب.
٤- مشكلات التعامل مع اللغة على مستوى السياق/ النصّ.

فلكي يفهم الطالب نصّاً ما ويستوعبه، عليه القيام بسلسلة من العلميات الرئيسية والفرعية، وبكثير من الجهد والتركيز إذا كان النصّ باللغة الأجنبية، في حين يكون تحقيق هذه العمليات تلقائياً آنيّاً حينما يكون النصّ باللغة الأمّ. فعلى مستوى الحروف والمقاطع، هناك فروق عديدة بين اللغة العربية وبين أية لغة عالمية كالإنجليزية مثلاً.

فالحروف تختلف في شكلها، وترتيبها، ووجودها في مقاطع، واتجاه الكتابة مختلف، فهو من اليمين إلى الشمال في العربية على عكس ذلك في الإنجليزية، هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية تميل إلى أن تكون أكثر صوتية Phonemic في كتابتها من اللغة الإنجليزية، وهناك مصاعب تواجه الطالب

علـى مسـتوى المفـردات والمصـطلحات أيضـاً. فـالفرق بـين اللغتـين واسـع، فالكلمات في اللغة العربية تختلف في شكلها ومبناها، واشتقاقاتها ووظيفتها.

وعلـى المستوى البنيـويّ التركيبـيّ، سـواء علـى مستوى الجملـة أو شـبه الجملـة، فـإن للعلاقـات الصـرفية والنحويـة بـين الكلمـات أثـراً كبيـراً فـي فهـم الطالب لما يقرأ، وإدراك هذه العلاقات يكون أيسر كثيراً في حال قراءة النصّ باللغـة الأم منـه باللغـة الأجنبيـة، ولا شـك فـي أن عمليـة إدراك العلاقـات بـين مكوّنات الجملة في اللغة الأجنبية يحتاج إلى وقت وجهد أكثر منه في اللغة الأمّ وخاصـة عنـدما يكـون عـبء الطالـب الدراسـيّ كبيـراً، وكلّـه أو جلّـه باللغـة الأجنبية.

ولـيس الأمـر مقصـوراً، لفهـم الـنصّ فهمـاً جيداً، علـى معرفـة المفـردات والعلاقات بين مكونات الجملة الواحدة، بل يتعداه إلى فهم العلاقات السياقيّة أو ما فوق الجملية على امتداد جزء كبير من النصّ، وحتـى علـى امتداد النـصّ بكامله أحياناً. فالطالب يجب أن تكون لديه المقدرة الجيدة على التحليل السياقيّ والتفاعل النصيّ، وهذا أمر ليس بالسهل حتى في قراءة النصّ باللغة الأمّ، فما بالـك إذا كـان الـنصّ باللغـة الأجنبيـة؟ وبالإضـافة إلـى ذلـك، يجـب أن يـدرك الطالـب العمليـات التحويليـة والتوليديـة فـي اللغـة الأجنبيـة وطريقـة إيصـال المعلومات للقارئ.

وكلمة أخيرة في هذا الصّدد، هي أن القراءة السريعة الفعالـة لا يمكن تحقيقها إلّا إذا كان القارئ يتمتع إلـى حدّ كبير بالخلفيـة اللغويـة نفسـها التـي يتمتع بها الكاتب. وهذا ضروريّ للوصول إلى المعنى الدقيق للنصّ ولمعرفة ما يرمي إليه الكاتب. وللأسف الشديد، فإن معظم طلابنا لا يملكون مثل هذه الخلفية في اللغات الأجنبيـة، ولـذلك فـإنهم يعـانون الكثير فـي فهم النصـوص باللغـة الأجنبيـة، وهـذا بالتـالي يـؤدي إلـى اخـتلاف فـي الخلفيـة العلميـة أو الأكاديمية بين الكاتب والقارئ، ممّا يزيد من مشكلات التعلّم ويعقد الأمـور أكثر، ذلك لأن الطالب سيضطر للعمل على جبهتين منهكتين في آن معـاً.

ثانياً: مشكلات الكتابة:

لقد أثبتت خبراتنا وتجاربنا في حقل تعليم اللغة الإنجليزية كلغـة أجنبيـة، وعلى جميع المستويات في كثير من الدول العربية، أن الطلاب العرب يعانون مـن مشـكلة حقيقيـة فـي التعبيـر عـن أنفسـهم كتابـة، وهـذا ظـاهر مـن أخطـائهم الكثيرة سواء على مستوى الكلمة (التهجئة)، أم على مستوى التركيب أم علـى

مستوى النصّ. وفي تصورنا، تعود معظم أسباب هذه المشكلات إلى مصدرين رئيسيين هما:

(١) العوامل اللغويَّة الاجتماعيَّة، وهي العوامل الاجتماعية والحضارية التي تتحكم في تكوين مفهوم الطالب بالنسبة لمهارة الكتابة وأهميتها في المجتمع.

(٢) عوامل أخرى أثبتتها الدراسات اللغوية التحليلية المقارنة، وهي الفروق الواسعة في قواعد اللغتين العربية والإنجليزية وتراكيبهما، إضافة إلى الفروق البيانية والسياقية عامة. لاشك في أن للحياة الاجتماعية والاقتصادية والتراثية أثراً كبيراً في تشكيل اتجاهات معينة نحو أهمية الكتابة، وفي ترسيخ قوالب كتابية معينة للتعبير عن أنواع التفاعل الاجتماعي والسياسي والدينيّ كافة في المجتمع العربي. وقد كان للإسلام، متمثلاً في القرآن الكريم، وما انبثق عنه من دراسات وعلوم قرآنية، وخاصة على المستوى الأسلوبي التعبيري، إضافة إلى كتابات الكثير من علماء العرب والمسلمين في كافة العلوم، أثرٌ كبير في قولبة الأسلوب الكتابيّ العربي، ولكن للأسف الشديد، كان لاتساع الهوة بين اللغة العربية المنطوقة هذه الأيام، واللغة العربية المكتوبة أثر سلبيّ على تحصيل طلابنا في مهارة الكتابة.

وخلاصة القول هنا إن الضعف العام في التعبير الكتابيّ لدى الطلبة العرب له أثر سلبيّ على التعبير الكتابيّ باللغة الأجنبية.

أما بالنسبة لمجموعة العوامل اللغوية فقد أثبت عملنا في حقلي اللغويات المقارنة Comparative ling uistics وتحليل الأخطاء Error analysis على اختلاف أنواعها، أن للفروق الشكلية والمضمونية بين اللغتين العربية والإنجليزية أثراً واضحاً في تعثر طلابنا في الكتابة، أو في وصولهم إلى مستوى مقبول في كتاباتهم الأكاديمية أو غير الأكاديمية.

ومن أهم الفروق التي نود الإشارة إليها: الفروق الشكلية، إذ إن اللغة العربية تختلف عن جميع اللغات الأوروبية في شكل حروفها، وكلماتها، وفي اتجاه الكتابة، وفي نظام الترقيم. وهناك اختلاف على مستوى الأدوات، وأدوات التعريف. وهناك اختلاف في نظام ترتيب مكونات الجملة، وتتابعها، وتطابق الفعل والفاعل والعدد والمعدود والصفة والموصوف... إلخ، وقد استخلصت من تحليلي لأخطاء طلابي الكتابية أن معظم الأخطاء تندرج تحت ثلاث فئات رئيسية:

١- تأثير نظام الكتابة العربية على أساس الطالب، وخاصة فيما يتعلق باختيار المفردات والتراكيب المناسبة، فهناك الكثير من التراكيب المستعملة في كتاباتهم والتي هي عبارة عن ترجمة مباشرة وحرفية أحياناً للتركيب العربيّ.

٢- عدم التدريب الكافي، وعدم إتقان الكتابة على مستوى النصّ الكامل. فالطالب قد يتقن اختيار المفردات المناسبة، وكتابة التراكيب الرصينة، ولكنه يفشل في كتابة نصّ متكامل متتابع يظهر فيه التفاعل النصّيّ المنطقيّ، فتخرج كتاباته غير متناسقة وغير مترابطة.

٣- عدم تنبّه المدرّسين سواء كانوا من العرب أم من الأجانب، إلى ضرورة الإشارة إلى الفروق الأسلوبية والبيانية في اللغتين العربية والإنجليزية على مستوى التراكيب منفصلة، والفقرات أو النصوص كاملة.

ثالثاً: مشكلات التعبير الشفوي:

لا شك في أن الطالب هو المحور الأساسيّ في التعليم الجامعيّ. وفي جوّ جامعيّ صحيّ، لا نقول مثالياً، يجب أن يتكلم الطالب أكثر من المدرّس، لا أن يجلس طوال وقته مجرد مستمع. وفي هذه الحالة، فالطالب بحاجة إلى حصيلة لغوية، وعلمية موضوعية تمكنه من المناقشة والمجادلة والمحاورة، وتمكنه أيضاً من إلقاء بعض التقارير والبحوث والدفاع عنها. وهنا نجد أن المسعف الوحيد للطالب هو اللجوء إلى لغته الأمّ، لأن التعبير بها أيسَر ويعطي الطالب ثقة أكبر، وموقفاً أفضل. ولكن اعتماد اللغة الأجنبية كلغة للتدريس في المعاهد العليا دون أن يكون الطالب قد أتقن هذه اللغة بشكل يمكّنه من استعمالها بيسر، له تأثير سلبيّ على تحصيل الطالب وتفاعله الجامعيّ، فهو يجد نفسه مضطرباً غير واثق من نفسه، وذلك لعدم مقدرته على التعبير عمّا يريد قوله بهذه اللغة الأجنبية، وفي كثير من الأحيان يخطر ببال الطالب أن يسأل أو يستفسر عن نقطة معينة، ولكنه لا يفعل ذلك لعدم ثقته بلغته من ناحية ولأنه يحاول ترجمة ما يريد أن يقول من العربية إلى اللغة الأجنبيّة، وبذلك يضيع وقتاً أطول، ويكون المحاضر قد انتقل إلى نقطة أخرى.

فهل من داعٍ لأن نسبّب لطلابنا كل هذه التعقيدات والصعوبات، ونضيع جلّ وقتهم في مشكلات جانبية بدلاً من التركيز على الأمور الأساسية، وهي الفهم والاستيعاب للمادة التي يدرسها كلّ منهم، ويتخصص فيها؟؟

٣. ٥ علم الدراسات الأسلوبية والتحليل السياقي:

يرى العاملون في حقل تعليم اللغات الأجنبية لأغراض العلم والطبّ والتكنولوجيا أن اللغة التي يجب استعمالها لتعليم تلك العلوم، أو ما يطلقون عليه اللغة "العلمية" تتميز بخصائص أسلوبية وسياقية خاصة. ومن هذه الخصائص والمميزات الدقة في التعبير، والقدرة على التحليل، والتعريف والتصنيف والتمثيل، والتعميم والتخصيص. وتمتاز هذه اللغة أيضاً بميزات خاصة في التفاعل السياقي الهادف إلى إيصال المعلومات بدقة، وبأسلوب بياني متميز.

ويحاول كثيرون من أعداء اللغة العربية أن يبيّنوا أن تلك اللغة لا تملك المميزات والخصائص السابقة الذكر، وبذلك فهي غير مؤهلة لكي تكون لغة للتدريس والتأليف في ميادين العلم والطب والتكنولوجيا، ولحسن حظ اللغة العربية، كما أسلفنا في موضع سابق، أن معظم الذين يتهمونها بالقصور لا يمتّون إلى علوم اللغة الحديثة بصلة لا من قريب ولا من بعيد. ولكي نكون أكثر دقة وعلمية في دفاعنا عن مقدرة اللغة العربية ومميزاتها، فإننا سنحاول في الصفحات القليلة القادمة، إثبات أن الخصائص الأسلوبية، والمميزات السياقية والبيانية للغة العربية لا تختلف عن تلك التي يسمّونها "لغة علميّة".

اهتم العاملون في ميدان علم اللغة التطبيقي، وخاصة أولئك المهتمون بلغة العلم والتكنولوجيا، بالتركيز على فكرة البيان والبلاغة. وفي نظرهم أن علم البيان في اللغة العلمية مهتمّ بتنظيم المعلومات، وربطها بالأفكار المتعلقة بها. لذا، فإن الوظائف البيانية للّغة يجب أن ينظر إليها من خلال ما يقوله النصّ. فعلى سبيل المثال قد تكون وظيفة النصّ التعريف والتصنيف، أو الأفتراض والبرهان، وبالتالي، فإنّ الوظيفة البيانية لتلك الفقرة، أو ذلك النصّ هي التعريف والتصنيف أو الافتراض والبرهان، وبمعنى أدقّ يجب أن يكون هناك تناسق وتناسب بين التعبير اللغويّ وبين الوظيفة الإيصالية للّغة.

والسؤال الآن هل يمكن للّغة العربية أن تقوم بمثل هذه الظاهرة التعبيرية وتلك الوظيفة الإيصالية المطلوبة؟

لاشك في أن الباحث المتمرّس أو حتى القارئ المتأنّي في نصوص اللغة العربية قديمها وحديثها لا يجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال. فدقّة

التعبير وسلامة اللفظ، والقدرة العجيبة للشعراء العرب وأدباء العربيّة على إيصال ما يجول في خواطرهم إلى القارئ أو السامع واضحة جلية، وأفضل مثالٍ نسوقه هنا هو التعبير القرآني الكريم، ودقته المتناهية سواء على مستوى الجملة أو النصّ أو حتى الحرف الواحد.

ولكن لكي لا نتيح الفرصة للمتفرنجنين ليعودوا أو يقولوا إن اللغة العربية لغة تاريخ وأدب فحسب، فإننا نسوق إليهم الأمثلة التالية من نصوص علمية بحتة.

الوظيفة الأولى: التعريف

علم النسج: هو أحد علوم الطبّ الأساسية. ويعني هذا العلم بدراسة البناء المجهريّ لخلايا الكائن الحيّ. وهو الأصل في التعرّف على كيفية قيام أنسجة هذا الكائن بأعمالها الحيوية "من كتاب علم النسج الخاصّ – د. المرابي وواد".

التعريف في اللغة العلمية يشتمل على ما يلي:
الكلمة المعرّفة + جملة أو جُمَيلة إخبارية عامة + أداة ربط أو ضمير وصل + مميزات وصفات خاصة للكلمة المعرّفة.

واضح من المثال السابق أنّ لدينا شيئاً يراد تعريفه هو "علم النسج" يليه جملة إخبارية عامة "معمّمة"، وهي "هو أحد علوم الطبّ الأساسية"، ثم لم يكتفِ الباحث أو المعرّف بذلك، فأضاف إلى الجملة العمومية ما يفيد التخصص والدقة في التعريف فقال: "ويعنى (هذا العلم) بدراسة البناء المجهري... إلخ".

وما ينطبق على تعريف علم النسج ينطبق على تعريف غيره من العلوم والفنون وغيرهما.

الوظيفة الثانية: التصنيف العامّ والدقيق
Classification & sub - classification

التصنيف في اللغة العلمية هو تقسيم الشيء أو الأشياء إلى مجموعات أو فئات أو أصناف حسب أسس وقواعد معينة، وضمن أُطُر محددة غالباً، مثال ذلك تقسيم المدارس في الأردن. فمثلاً يمكن تقسيمها حسب المرحلة التعليمية إلى ابتدائية، وإعدادية، وثانوية، أو حسب النوعية إلى

التجاريّ والصناعيّ... إلخ، أو حسب مزيج من هذه العوامل. وإليك المثال التالي الذي يثبت مقدرة اللغة العربية على القيام بهذه الوظيفة خير قيام.

أنواع خرائط سير العمليات (في الحساب الإلكتروني): تنقسم خرائط سير العمليات بشكل عام إلى قسمين رئيسيين هما:

(أ) خرائط النظم:

وهذا النوع يحدّد بالرسوم العلاقات المنطقية التي تربط بين مجموعة العمليات المتتالية والمترابطة للنظام المطلوب.

(ب) خرائط سير البرامج:

وهي تحدّد بالرسوم العلاقات المنطقية والتسلسل العامّ بين مجموعة من الأحداث والعمليات المترابطة والمتتالية التي يتكون منها البرنامج.

(تصنيف دقيق) هذا ويمكن تصنيف خرائط سير العمليات كما يلي:

١- خرائط التتابع البسيط.
٢- خرائط التفرع.
٣- خرائط الدوران البسيط.
٤- خرائط الدورانات المتداخلة.

(من كتاب أصول البرمجة بلغة فورتران، د. منصور).

واضح من المثال السابق أن اللغة العربية لا تختلف عن اللغة العلمية في مقدرتها على تصنيف الأشياء بشكل عامّ أو بشكل دقيق، بحيث توصل المعلومات إلى القارئ بكل سهولة ومنطقية وتتابع.

الوظيفة الثالثة: الوصف Description

والوصف إمّا أن يكون لعملية أو تجربة أو إجراء معين، وغالباً ما يكون الفعل المستعمل هو الفعل المضارع البسيط، أو الفعل المضارع المبنيّ للمجهول، إلا إذا كان الوصف خاصاً بحادثة معينة، حصلت في الماضي، وتمتاز اللغة العلمية بالإيجاز والدقة والشمولية.

مثال:

العقدة البلغميّة (اللنفاويَّة): هي عضو+ بلغمي صغير كلويّ الشكل+، يتوضّع على طريق العروق البلغميّة. يختلف قطر+ العقدة بين ١-٢٥ ملم، لونها+ ورديّ باهت. +سطحها أملس تشويه خشونة خفيفة، لها سرّة منخفضة تدخل وتخرج منها العروق الدموية والألياف العصبية. أمّا العروق البلغميّة فتدخل إلى العقدة من محيطها، وتخرج فقط من سرّتها.

(من كتاب علم النسج الخاصّ. د. المسرابي وواد).

في الكلمات القليلة السابقة استطاع المؤلف المتمكّن من لغته العربية أن يعطي وصفاً علمياً دقيقاً موجزاً وشاملاً لعضو صغير جداً من أعضاء الجسم الإنساني، فذكر نوعه (بلغميّ)، وشكله (كلويّ)، ومكانه وحجمه (صغير)، وقطره (١-٢٥ملم)، ولونه (ورديّ باهت)، وصفة سطحه، وأهمّ أجزائه، وأماكن تداخلها.

فهل توجد لغة علمية أكثر دقّة ونجاحاً في إيصال المعلومات من تلك المستعملة في الفقرة السابقة؟

الوظيفة الرابعة: الوصف الوظيفيّ

Functional description

هو المقدرة على وصف جهاز أو عضو... إلخ من وجهة النظر العلمية الوظيفية لذلك الجهاز أو العضو بطريقة منطقية متتابعة ومفهومة.

مثال:

ومن أبرز خصائص الحاسبات الإلكترونية:

(أ) قدرتها على تخزين العمليات والمعطيات والبرامج الداخلية إما بصورة مؤقتة فيما يسمى بذاكرة الحاسب، فيستطيع الحاسب استخدام هذه الذاكرة في أثناء تنفيذ البرنامج المطلوب، الذي يتلاشى من وحدة الذاكرة مع المعطيات الخاصة، بمجرد الانتهاء من تنفيذه، أو بصورة دائمة لغرض التوسع في طاقة التخزين للحاسب، وتكون هذه على شكل مكتبات تستخدم عند الحاجة.

(ب) السرعة والدقة: يتميز الحاسب الإلكتروني بقدرته على أداء العمليات الحسابية والمنطقية المطلوبة بسرعة ودقة فائقتين... إلخ.

(من كتاب أصول البرمجة بلغة فورتران، د. منصور).

الوظيفة الخامسة: المقارنة والمقابلة
Comparison & Contrast

في معظم المواضيع العملية، وحتى المواضيع العامة يحتاج الباحث إلى مقارنة الأشياء بعضها ببعض مشيراً إلى أوجه التشابه والاختلاف، وللّغة العلمية ميزة خاصة في هذا المجال، هي القدرة على استعمال تعابير خاصة ودقيقة تري تلك الاختلافات على وجه الدّقة مهما كانت درجة الاختلاف أو التشابه.

واللغة العربية غنية جداً بمثل هذه التعابير، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

س وص متطابقان (متشابهان ١٠٠%).
س وص متشابهان إلى حدّ كبير.
س وص متشابهان إلى حدّ ما.
س وص متشابهان تقريباً.
س وص متشابهان في كثير/ قليل من الصفات.
بعض/ معظم.

س وص مختلفان تماماً.
س وص مختلفان في أوجه عدة.
س وص مختلفان بعض الشيء.
هناك اختلاف كبير بين س، جذريّ... إلخ.
س أكبر/ أصغر من ص.

س لـ الحجم نفسه/ الرائحة/ الطول... إلخ مثل ص.

مثال: لو قورنت عين الإنسان بعيون المخلوقات الفقارية الأخرى، لما وجد اختلاف جذريّ في الأسس التشريحية التي تشكّل العين، ولا في الوظائف الحيويّة التي تقوم بها أجزاؤها المختلفة. ولكن الاختلافات تتعلق بتطور تلك الوظائف وتنوعها، تمشيّاً مع نوع الحياة التي يعيشها المخلوق، والفعاليات التي يقوم بها، والظرف الزمنيّ الذي يتحرك به... كذلك تتركز الاختلافات في شكل العدسة البلورية، وشكل البؤبؤ العينيّ ونوع الخلايا البصريَّة... وكذلك ملحقات العين وغيرها.

(مفارقات بين عين الإنسان وعيون الحيوان: (سرى سبع العيش – مجلة العربي/ العدد ٣٠٥ إبريل ١٩٨٤ ص ٨٨).

الوظيفة السادسة: التعميم والتخصيص وتحليل المعلومات
generalization & qualification & interpretation of data

في كثير من الأبحاث أو الكتابات الأكاديمية، يحتاج الباحث إلى إعطاء حكم عام أو تعميم نتيجة، ولكنه في أحيان أخرى يحتاج إلى إعطاء رأي أكثر دقة، ومدعّم بحقائق أكثر انطباقاً على الواقع. فلو استعملنا تعابير مثل "معظم الناس في الأردن يكرهون التدخين" لكان ذلك تعميماً تنقصه الدقة في المعلومات، أما لو قلنا إن ٧٥% مثلاً من الناس في الأردن يكرهون التدخين، لكان ذلك حكماً مدعماً بالحقائق الإحصائية الموضوعية.

واللغة العربية غنية بالتعابير التي يمكن أن تستعمل في هذا المجال. فعلى سبيل المثال نستطيع أن نقول:
كل الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ١٠٠%
الأغلبية العظمى يفضلون دراسة لغة أجنبية ٩٠% فما فوق
الغالبية من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٨٠% إلى ٩٠%
كثير من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٧٠% إلى ٩٠%
عدد كاف من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٦٠%
نصف الطلاب تقريباً يفضلون دراسة لغة أجنبية ٤٥% -٥٠%
الأقلية من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٣٥%
بعض الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٢٥%
عدد ضئيل من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ١٥%
عدد قليل جداً من الطلاب يفضلون دراسة لغة أجنبية ٥%
لا أحد من الطلاب يفضّل دراسة لغة أجنبية – صفر %

وهكذا مع وجوه هذا الغنى في التراكيب اللغوية يستطيع الباحث أن يعبّر عن نفسه، ويعلّق على ما لديه من معلومات بدقة ووضوح.

الوظيفة السابعة: المناظرة/ والمجادلة والاستنتاج

Argument/ Discussion/ Conclusion

عند مناقشة أي موضوع أكاديميّ، فإننا غالباً ما نصبو إلى تقديم رأي متوازن. وهنا فإننا نحتاج إلى غير وظيفة لغوية علمية في آن معاً، فنحتاج إلى التعريف على سبيل المثال، والتعميم والتمثيل والتخصيص والمقابلة والمقارنة وغير ذلك، فعند مناقشتنا لفكرة أو لرأي ما، لا بد من أن نبيّن رأي الآخرين فيه، ومحاسنه ومساوئه، ونخرج بعد ذلك بخلاصة معينة.

وإضافة إلى غنى اللغة العربية بالتراكيب والتعابير الخاصة بالوظائف اللغوية السابقة الذكر منفردة أو مجتمعة، هناك أيضاً تراكيب تمكن الكاتب من إجراء حوار ناجح مع قارئه أو مستمعه.

مثال ذلك: من أجل....، ولكي....
بما أن.....
حيث إن.....
وبناء عليه....
ممّا تقدّم....
إذن...
(ونتيجة) لذلك...
وخلاصة ما تقدّم...

نستطيع أن نستنتج....
نثبت....
نبرهن.....
نبيّن....
إلخ.

. . . .

الخلاصة والتوصيات

لقد بيّنت هذه الدراسة بما لا يدعو إلى الشك في أن اللغة العربية لغة حيَّة قويَّة تملك قابلية البقاء والاستمرار، وذلك لأنّ لديها مرونة واستعداداً لتقبّل ما يجدّ على حياة شعوبها من تغيّر وتطوّر، واستيعابه. فهي قد واكبت اتساع الحضارة العربية الإسلامية عبر العصور، وقادرة على مواكبة اتساع الحضارة العالميّة الحالية، لأنها ما زالت تملك تلك المقومات والخصائص التي مكّنتها من القيام بذلك في السابق. فقد كانت مرنة وما زالت، غنيّة باشتقاقاتها وتنوع أساليبها البيانية والبلاغية، وتفاعلها النصيّ أو السياقيّ.

وأثبتت هذه الدراسة كذلك أنّ أيّ اتهام للّغة العربية بالقصور، وأيّ تفضيل للّغة الأجنبية عليها هو اتهام باطل من الوجوه القومية والاجتماعية والعلمية واللغوية البحتة، فاللغة العربية لا يمكن أن ترتقي وحدها، وإنما تحتاج إلى جهود أهلها والقائمين على شأنها. وقد رأينا أن اللغة العربيّة لا تنقصها خصائص اللغة العلمية أو وظائفها أو مقوماتها، سواء أكان ذلك على مستوى المفردات أم المصطلحات، أم التراكيب البنيوية أم التفاعل

السياقيّ، فاللغة العربية قادرة على التعبير الدقيق والموجز والشامل والمنطقي على المستويات كافّة، وفي العلوم عامّة. وكما كانت العربية بجهود أبنائها قادرة على استيعاب علوم اليونان والرومان والهند والصّين والسّريان، وغيرهم، فهي قادرة بلا شك على استيعاب علوم الأميركيين والإنجليز والفرنسيين والألمان والروس وغيرهم.

فالمطلوب إذن، أولاً وقبل كلّ شيء، هو الإخلاص في خدمة تلك اللغة والعناية بها حتى تتمكن من القيام بدورها العلميّ والحضاريّ على أكمل وجه. وهذا، في رأينا، لا يمكن تحقيقه أو القيام به على الوجه الأكمل إلا إذا أخذت الأمور التالية بعين الاعتبار:

- التركيز على تعليم اللغة العربية بشكل علميّ سليم في جميع مراحل التعليم ولجميع التخصصات، وهذا يقتضي إعداد الكوادر والمعاهد المتخصصة لمواكبة التطورات المستمرّة، والمستجدة في ميادين تعليم اللغات الوطنية واللغات الأجنبية على حدّ سواء.

التركيز على إنجاح عمليات الترجمة والتعريب في أرجَاء الوطن العربي كافة، وهذا يكون بالقيام بما يلي:

- إعداد الكوادر المتخصصة في الترجمة والتعريب سواء أكان ذلك على مستوى الدول العربية منفردة، أم على مستوى الجامعة العربيّة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- بشكل جماعيّ وعامّ.

- إنشاء مراكز تعليم الترجمة بأنواعها المختلفة في أقطار الوطن العربي كافة، وفي كل جامعة أو معهدٍ عالٍ فيها.

- دعم أعمال المجامع اللغوية العربية، ومراكز التعريب فيها، وتطويرها ونشرها.

- العمل على تيسير تداول المصطلحات العلمية المعرّبة، وذلك بتوزيعها على المراكز العلمية كافة، وأن تقوم تلك المراكز بتوزيعها على دوائرها العلميّة المختلفة، لا أن تبقى حبيسة المكتبات والمكاتب فقط.

د. مفيق دوشق

✷✷✷✷

المراجع

أ- المراجع العربية

ابن دوريل، عدنان (١٩٨٠) اللغة والأسلوب، دمشق.

البيروني، محمد بن أحمد (١٩٥٥) القانون المسعودي، ط١، الهند.

السامرائي، إبراهيم (١٩٧٣) تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المبارك، مازن (١٩٧٣) اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، بيروت.

المسرابي، مصطفى (١٩٨٢) علم النسج الخاص، دمشق.

سبع العيش، سُرى (١٩٨٤) "مفارقات بين عين الإنسان وعين الحيوان"، مجلة العربي، العدد ٣٠٥، الكويت.

شاهين، عبدالصبور (١٩٨٠) في علم اللغة العام، ط٣، الرسالة، بيروت.

منصور، عوض (١٩٨٣) أصول البرمجة بلغة فورتران، العدوي، عمان.

موسى، أشرف (١٩٧٨) الكتابة العربية العلمية والأديبة، مكتبة الخانجي، القاهرة.

نصار، حسين (١٩٨١) دراسات لغوية، الرائد العربي، بيروت.

ب- المراجع الأجنبية

Akmajian A., et al (1980) Linguistics: An Introduction to Language and Communication, MIT Press, Cambridge Mass, U.S.A.

Beaugrande, R, et al (1981) Introduction to Text Languistics Longman, London.

Crystal, D. et al (1976) Investigating English style, Longman, London.

Jordan, R.R. (1976) An Academic Writing Course, Collins, London.